المقتطف

الجزء السابع من السنة الثامنة عشرة

١ ابريل (نيسان) سنة ١٨٩٤ الموافق ٢٤ رمضان سنة ١٣١١

الطوفان وعلم طبقات الارض

جاء في التوراة ان الماء غمر الارض كلها على عهد نوح قصاصاً لنوع الانسان فهلك كل ما عليها من الناس والحيوانات الاَّ نوحاً وزوجتهُ وبنيهِ الثلاثة ونساءهم والحيوانات التي نجت معهُ في الفلك (١). وورد في اخبار الاشوريين والبابليين والهنود واكثر الامم

(١) وهذا نص التوراة على ما جاء في الاصحاح السادس والسابع والثامن من سفر التكوين ((فقال الله لنوح نهاية كل بشر قد اتت امامي لان الارض امتلأت ظلماً منهم ... فها انا آتٍ بطوفان الماء على الارض لاهلك كل جسد فيهِ روح حياة من تحت السماء كل ما في الارض يموت ولكن اقيم عهدي معك فتدخل الفلك انت وبنوك وامرأتك ونساء بنيك معك ومن كل حيٍّ من كل ذي جسد اثنين من كلٍّ تدخل الى الفلك لاستبقائها معك تكون ذكراً وانثى من كل الطيور كاجناسها ومن البهائم كاجناسها ومن كل دبابات الارض كاجناسها ... وانت فخذ لنفسك من كل طعام يؤكل واجمعهُ عندك فيكون لك ولها طعاماً)) ثم امرهُ الله ان ياخذ ((من جميع البهائم الطاهرة سبعة سبعة ومن طيور السماء ايضاً سبعة سبعة)) ... ((وانفجرت كل ينابيع الغمر العظيم وانفتحت طاقات السماء وكان المطر على الارض اربعين يوماً واربعين ليلة .. وتعاظمت المياه كثيراً جداً على الارض فتغطت جميع الجبال الشامخة التي تحت كل السماء ..... فمات كل ذي جسد كان يدبُّ على الارض من كل الطيور والبهائم والوحوش وكل الزحافات التي كانت تزحف على الارض وجميع الناس كل ما في أنفهِ نسمة روح حياة من كل ما في اليابسة مات فمحا الله كل قائم كان على وجه الارض الناس والبهائم والدبابات وطيور السماء فانمحت من الارض وتبقّى نوح والذين معهُ في الفلك فقط ... ثم ذكر الله نوحاً وكل الوحوش وكل البهائم التي معهُ في الفلك واجاز الله ريحاً على الارض فهدأت المياه وانسدت ينابيع الغمر وطاقات السماء فامتنع المطر ورجعت المياه عن الارض رجوعاً متوالياً ... وفي الشهر العاشر في اول الشهر ظهرت رؤوس الجبال))

القديمة ما يشير الى حدوث طوفان عامٍّ هلكت بهِ طوائف الناس اجمع ولم ينجُ منهم الاَّ نفرٌ قليلٌ

وقد بحث علماء الجيولوجيا في هذا الموضوع فاجمعوا على ان حدوث هذا الطوفان على ما ورد في التوراة امر لا يحتمل وقوعهُ الاَّ باعجوبة لا تنطبق على النواميس الطبيعيَّة لانهُ ليس في البحار والهواء وطبقات الارض ماء يكفي لغمر اليابسة كلها مع جبالها الشامخة . ولو جاءها الماء من مكان آخر حتى غمرها وغمر جبالها لاختلَّ نظام الكون كلهِ . قال الدكتور باي سميث اللاهوتي الجيولوجي " لو غطَّت المياه كل وجه الارض لطال قطرها الاستوائي نحو اثني عشر ميلاً فيزيد ثقلها ويختلف كبو محورها وهذا يؤثر في النظام الشمسي بل في الكون اجمع ولا يُمنع تأثيرهُ الاَّ بمعجزات عظيمة لا داعي اليها. ثم ان فُلْكَ نوح لا يستقرُّ في مكان واحد حينئذ بل يضطرهُ فعل الشمس والهواء ان يسير في جهة جنوبيَّة فغربيَّة ولا يعود الى جبال ارمينية ولا الى اسيا الا بعد ان يدور حول الكرة الارضيَّة . ولكن الوقت الذي بقي فيهِ الماء غامرًا للارض حسب نص التوراة لا يكفي الاَّ لان يصل الفلك الى قلب افريقية (١)

ويتلو هذا الاعتراض اعتراض اقوى منهُ واوضح وهو ان الفلك الذي صنعهُ نوح لا يسع زوجًا زوجًا من كل انواع البهائم والدبابات والطيور وما يكفيها من الطعام ولا سيَّما اذا اخذ من الطاهرة سبعة سبعة . وقد ذكر هذه الاعتراضات علماء التفسير واستنتجوا منها ومن اعتراضات اخرى من نوعها ان طوفان نوح لم يكن عامًّا للارض كلها خلافًا لنص الكتاب. وقال بعضهم انهُ كان خاصًّا ببقعة من اسيا وان نوع الانسان كان منتشرًا فيها فقط لقرب عهد الطوفان من الخليقة فهلك كلهُ خلا نوحًا وبنيهِ ونساءهم . وقال آخرون ان نوع الانسان كان منتشرًا على وجه البسيطة لكنَّ طوفان نوح كان محليًّا فلم يعمَّ البسيطة كلها ولا هلكت بهِ كل طوائف الناس . وقد صرَّح بذلك المسيو لنورمان في كتابهِ تاريخ المشرق القديم المطبوع سنة ١٨٨٥ وقال ان خبر الطوفان لا يوجد عند طوائف الزنوج فالطوفان لم يهلك اسلافهم ولا بلغ بلادهم . وقد اثبت هذا المذهب الاب مونه في كتابهِ عن الطوفان وقال انهُ منطبق على تفسير الكتاب وتعليم الكنيسة الكاثوليكيَّة وتقاليدها وبهِ يُعلَّل وجود الصنف الاسود والاصفر من الناس المخالفين لنسل نوح شكلاً ولونًا

(١) ذكر ذلك الدكتور ابدي اللاهوتي في معجم التوراة في الكلام على نوح

وقد اشرنا في الجزء الماضي من المقتطف الى ان الاستاذ برستوتش الجيولوجي الكبير اقام الادلة العلميَّة على انهُ حدث في سواحل البحر المتوسط وما جاورها انخفاض وقتيٌّ في عصر الانسان فغمرتها المياه وذلك ينطبق على طوفان نوح المذكور في التوراة. وكان لخطبتهِ التي انشأها في هذا الموضوع وقع عظيم في اوربا واميركا ولذلك رأينا ان نلخصها لان مسألة الطوفان من المسائل ذات الشأن الكبير دينيًّا وعلميًّا

قال الكاتب ان في الارض صخورًا منضَّدةً وغير منضدة وفيها ايضًا مواد منحلَّة من تلك الصخور ولهذه المواد ارتباط باول ظهور الانسان على الارض وبما عليها الآن من الحيوان والنبات . وهي مؤلفة من طبقات من الرمل والحصى والتراب بعضها منضَّد وبعضها غير منضَّد وقد ظُنَّ اولاً انها نتيجة طوفان عامٍّ وان الحيوانات التي توجد عظامها فيها الآن قد هلكت بذلك الطوفان وتفرقت عظامها بين المواد التي جرفتها المياه

ثم رأى العلماء ان حدوث طوفان عام يغمر الارض كلها امر مستحيل بحسب العلوم الطبيعيَّة . فابطلوا هذا الظن وقالوا ان هذه المواد نتيجة فواعل طبيعيَّة بطيئة لم تزل تفعل حتى وقتنا هذا . ومن هذه الفواعل مياه الانهار وامواج البحار والثلج الذي يجري في الاودية اذا كان كثيرًا ويطفو على وجه البحار قطعًا كبيرة كالجبال . الاَّ انهُ قد اتضح لي ممَّا رأيتهُ منها في جنوبي انكلترا وشمالي فرنسا ان بعضها لا يمكن ردُّهُ الى هذه الفواعل الطبيعيَّة وقد اتصل السر ردرك مرتشصن الجيولوجي الى هذه النتيجة عينها وتابعهُ الاستاذ غيكي الجيولوجي حديثًا . وقد سميت هذه المواد رواسب الحصباء لانها مؤلفة من حجارة لم تصقلها المياه وليس فيها اصداف نهريَّة ولا بحريَّة ولا فيها ما يدل على ان الثلج جرفها او انها مجروفة من مكان بعيد عن المكان الذي هي فيهِ كالمواد التي يجرفها الثلج

ويعلل وجود هذه الرواسب بان الارض التي هي فيها خسفت فغمرتها المياه ثم شخصت (ارتفعت) فانحسرت عنها ولما كانت مغمورة بالمياه مات ما كان فيها من نبات وحيوان ثم لما شخصت وانحسرت المياهُ عنها جرفت رفات الحيوانات والحصباء والحثاثة وجرت بها في الاودية وتركت جانبًا منها في النقر والشقوق التي في طريقها . وجرفت ايضًا ادوات الناس ورفات مَن هلك منهم فبقيت مع الحصباء في تلك النقر . ولذلك توجد فيها بقايا الحيوانات التي عاصرت الناس في الدور الرباعي وادوات الظران التي كانوا يستعملونها وقد يوجد فيها شيءٌ من عظامهم . ومن الحيوانات التي وُجِدَت عظامها

في بعض هذه النقر في البلاد الانكليزيَّة النمر والضبع والخنزير البري والفرس والثور والغزال والذئب والثعلب والارنب وجرذ الماء ثم وجدت عظام الموث والكركدن وفرس البحر والايل والدب . وهذه العظام مكسَّرة في الغالب وحروفها حادة غير صقيلة دلالة على ان الماء ما عبث بها زماناً طويلاً فحكَّ اطرافها وصقلها كما يحك الحصى ويصقلها . والادلة متوفرة على ان ماء البحر غمر اماكن من جنوبي انكلترا ارتفاعها عن سطح البحر الآن نحو الف قدم

ورواسب الحصباء هذه كثيرة في قارة اوربا وجزائرها وسواحل بحر الروم . ووجودها في بعض الجزائر الصغيرة دليل قاطع على انها مجروفة بماء البحر لانهُ ليس هناك نهر ليجرفها ويلقيها حيث هي الآن ولا الارض عالية فوقها لتجرف منها بماء المطر . وهي في شمالي فرنسا في اماكن تعلو عن سطح البحر نحو ٦٠٠ قدم وبلغ علوها في جوار ليون ١٣٠٠ قدم . وفي اعالي نهر الرين والدانيوب ١٦٠٠ قدم . وتكثر في سهول بلاد المجر وجنوبي روسيا وفيها كثير من بقايا الحيوانات البريَّة ٱلَّتي كانت عائشة في الدور الرباعي ومن اثار الانسان ايضاً دلالة على ان مياه البحر غمرت تلك البلاد في عهدهِ

والرواسب ٱلَّتي رسبت في النقر والشقوق في سواحل فرنسا ممَّا يلي بحر الروم كثيرة وفيها عظام الموث والكركدن الاشعر وغيرها من حيوانات الدور الرباعي . وكثيراً ما تكون تلك النقر في آكام مرتفعة منفردة عن غيرها . وقد اختلف العلماء قديماً وحديثاً في سبب كثرة العظام هناك فقال بعضهم ان الحيوانات وقعت في تلك الحفر والنقر فماتت وبقيت عظامها فيها . وقال غيرهم ان الضواري افترستها وطرحت عظامها هناك . لكن القولين منقوضان لانهُ ليس بين تلك العظام هيكل تام وهذا ينقض القول الاول وليس بينها عظم منهوش نهشاً وهذا ينقض القول الثاني . وقد وُجدت بينها عظام الاسد والذئب والضبع والدب والارنب والموث والكركدن والخنزير البري والفرس والثور والغزال والايل وشيء من الاصداف البريَّة . والحجارة ٱلَّتي معها حادَّة الزوايا والعظام مكسَّرة شظايا ولا دليل على انها من عظام حيوانات افتُرست افتراساً ولا يحتمل ان تكون تلك الحيوانات المختلفة الانواع والطبائع قد عاشت معاً في مكان واحد وماتت معاً . لكن القول المقبول عندي هو انها رأت المياه تغمر السهول رويداً رويداً فهربت من وجهها الى رؤوس التلال الَّا ان التلال انخفضت مع السهول فغمرتها المياه ايضاً فماتت الحيوانات عليها ثم ارتفعت الارض فانحسرت المياه عنها وجرفت ما عليها من تلك

الحيوانات بانحسارها عنها والقتها في الشقوق والنقر التي في طريقها وسقطت عليها الحجارة الكبيرة فكسرتها وبقيت كسرها هناك الى يومنا هذا

ثم ذكر الاستاذ برستوتش امثلة كثيرة لذلك في جبل طارق وسردينيا وكورسكا وايطاليا ومالطة وبلاد اليونان وسواحل افريقية الشمالية وقال في الخاتمة ما خلاصتهُ

انهُ يظهر لي من اوصاف رواسب الحصباء في كل مكان وُجدت فيهِ ان اصلها واحد . وكل ما فيها خالٍ من الاحتكاك الكثير الذي كان يجب ان يقع بها لو كانت ممَّا جرفتهُ امواج البحار او مياه الانهار . والعظام منها مكسرة ولكنها غير مسحولة ولا هي من حيوانات تجتمع معاً من تلقاء نفسها . ولا هي من فرائس الضواري ايضاً غير منهوشة . فلهذه الاسباب وغيرها مما تقدم ذكرهُ يعلل وجود هذه الرواسب او البقايا بان الارض التي هي فيها خسفت فغمرتها مياه البحر ومات ما فيها من الحيوان والنبات ولكن خسوفها لم تطل مدتهُ فشخصت ثانية وبقيت آثار الحيوان في نقرها وشقوقها ومعها آثار الانسان الذي كان معاصراً لها

وهذا الحادث العظيم اي خسوف الارض حتى غمرها الماء ثم شخوصها حتى انحسر عنها يصلح ان يكون علة خبر الطوفان اي انهُ يشار بخبر طوفان نوح اليهِ لا الى حادث آخر محلي كفيضان الفرات ودجلة وما اشبه ممَّا ذكرهُ بعض المفسرين . واذا كان الامر كذلك فالناس الذين لجأوا الى اعالي الجبال الشامخة ونجوا من هذا الطوفان عمروا الارض ثانية بعد انحسار الماء عنها وتداول ابناؤهم خبر هذا الطوفان بعدهم وكل فريق منهم يظن ان الطوفان عمَّ المسكونة كلها ولم ينجُ منهُ غيرهم . ويظهر لي من بعض الادلة الجيولوجية ان غمر الماء للارض كان اسرع من انحسارهِ عنها وان هذه الحادثة حدثت في نهاية الدور الرباعي من الادوار الجيولوجية حين كان الانسان منتشراً في الاماكن التي غمرها الماء

هذه خلاصة المقالة التي وضعها الاستاذ برستوتش في هذا الموضوع . والظاهر انهُ يحسب ان الشعوب الذين ليس عندهم خبر الطوفان كانوا بعيدين عن البلاد التي حدثت فيها هذه الحادثة فلم يعلموا بها . والامر واضح أن هذا التعليل لا يؤيدهُ نص التوراة بوجه من الوجوه الا اذا صحَّ ما يقولهُ بعض المفسرين من ان الغرض من ذكر خبر الطوفان في التوراة انما هو ان الله سبحانهُ استعمل هذا الحادث الطبيعي قصاصاً للاشرار فلا عبرة بكيفية حدوثهِ . والله اعلم